الانقلاب
على
عبد الناصر
قضايا ..
وإشكاليات

الفصل الثالث

سوريا في القلب !

obeikan.com

obeikan.com

سوريا وأجواء الحرب الباردة

قبل فترة كان الخناق قد ضاق أو كاد على عنف سوريا فأمريكا كانت تراها دائماً عقبه في طريق أطماعها التوسعية والسلطوية في المنطقة العربية، وكثيرا ما تحدثت عنها كأحد «رموز الشر» في الشرق الأوسط ووضعتها مع إيران في فندق واحد. والشيء نفسه فعلته فرنسا في السنوات الأخيرة من زمن الرئيس السابق جاك شيراك الذي كان يعتبر سوريا شراً مُستطيرا!

وكان يعتقد أن تعقيد الأوضاع في لبنان يرجع بالدرجة الأولى إلي سوريا التي أحزنها أن تخرج بقواتها من بلاد الأرز.! وكان شيراك يرى أن دمشق هي التي يزعم أنها خططت لاغتيال رفيق الحريري وهو أمر ما كانت سوريا تطيق سماعه، ولا تزال تنكر هذا الزعم جملة وتفصيلاً..

وقيل– ضمن ما قيل– إن الدول التي تُطلق عليها أمريكا اسم الدول المعتدلة في المنطقة– شاركت في مخطط خنق سوريا، وتبنت الفرضيات أو الاتهامات الأمريكية الموجهة إلي دمشق.. وبغض النظر عن صحة أو خطأ هذا القول، فالثابت عملاً أن سوريا مرت بمرحلة قاسية شعرت فيها بالعزلة والتهميش والتقزيم.. لكنها– إنصافا– لم تفقد ثقتها في نفسها وفيما بين أيديها من أدوات ناجعة ونافذة في السياسة الخارجية..

والمؤكد أنها واصلت العمل بُحنكة سياسية تُحسد عليها، بدأب وصبرٍ لافتين للنظر حتى أحدثت حزنا في جدار الصمت الذي فُرض عليها لأكثر من عدة سنوات..

فعادت العلاقات بين باريس، ودمشق إلي سابق عهدها من الدفء والتقدير المتبادل وهوت الذرائع (والوصايا) التي تعنها الرئيس السابق شيراك إلي ساركوزي والخاصة بمقاطعة ومُعاداة سوريا..

(؟؟؟) الأوضاع- مجدداً- في لبنان، ودارت عجلة المفاوضات غير المباشرة بين دمشق وتل أبيب بوساطة تركية.. وهو ما يعني أن (تابوهات) كثيرة، وخطوط حمراء قديَمة تجاوزها..

وهكذا أعادت سوريا (إدخال) نفسها في مُعترك الحياة السياسية الإقليمية والدولية..

شيء آخر يُعناف إلي التحركات السورية الذكية اعني الزيارة التي قام بها الرئيس بشار الأسد إلي موسكو والتي أصابت أكثر من هدف داعم لجملة المواقف السورية في المرحلة الأخيرة.. وما يجب تسجيله بالثناء والتقدير الواجب هو أن الدبلوماسية السورية استطاعت أن تستغل تنفسنا جميعا لأجواء الحرب الباردة الجديدة لتحقق إنجازات مهمة تكسب بها روسيا وترجح كفتها في الصراع مع أمريكا عبر أزمة جورجيا وأوسيتنيا الجنوبية وأوكرانيا القرم مؤخراً..

وكنا- قبلاً- نبكي على المرونة أو القدرة على المناورة التي كانت توفرها أجواء الحرب الباردة القديمة.. وها هي قد عادت مُجدداً لتينا جميعا تحدو حزو سوريا.

رأس سوريا.. والمفصلة الغربية!

ليس من شك في أن سوريا قد تصرفت بشكل هادئ ومسؤول إزاء السلوك الأمريكي (؟؟؟) والذي راح ضحيته أبرياء سوريون كانوا مشغولين في إنشاء مبنى جديد داخل الأراضي السورية عندما قذفتهم طائرات أمريكية بالرصاص والقنابل.. والرد السوري لا يخلو من حكمة، لأنه فوّت على أمريكا فرصة التصعيد، أو توريط المنطقة في مراجهة عسكرية غير مضمونة العواقب.. فإغلاق المدرسة والمركز الثقافي الأمريكي هي إشارة لغضب سوري ورفض قوي لسياسة «الكاوبوي» التي تمارسها إدارة بوش السابقة حتى اللحظة الأخيرة..

الأهم من ذلك أن دمشق أدركت أن هذه الغربة الأمريكية غير المبررة

تستهدف– بالدرجة الأولى– إجهاض كل النجاحات التي حققتها سوريا.. فهي– كما يعلم الجميع– كسرت طوق العزلة الذي فرضه أمريكا وعدد من دول التحالف الغربي عليها.. ونجحت في التغلب على العراقيل التي كانت تقف في طريق (؟؟؟) القمة العربية في دمشق.. واخترقت الحائط الذي كان يعزل سوريا عن فرنسا في عهد ساركوزي والدول الأوروبية، وتحولت العداوة الفرنسية إلي صداقة حميمة إلي حد أن الرئيس السابق ساركوزي أعلن في دمشق أن سوريا وفرنسا هما العتبة الأساسية للسلام والأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط..

وطلب ساركوزي من بشار الأسد أن يلعب دوراً (في التوفيق) بين أوروبا وإيران.. وعلى الجانب الآخر كسرت دمشق الجليد الذي كان قائماً بين سوريا ولبنان، وصدر مرسوم رئاسي لإقامة علاقات دبلوماسية مُتبادلة، وهو أمر كان يعتبره الكثيرون من «سابع المستحيلات!!»

ولا ننسى أن الحكومة السورية قدمت معلومات وبيانات كثيرة لأمريكا بشأن الأوضاع في العراق خصوصاً حول تنظيم القاعدة، والجماعات الإرهابية، وقد ساعد ذلك في تجنيب أمريكا خسائر كبيرة في العتاد والأرواح..

بكلمة أخرى لقد حزّ في نفس واشنطن أن تحقق سوريا كل هذه المكتسبات في عدة أشهر، ويتردد أن هناك أطرافا قد أتعسها أن تنجح سوريا في كسر العزلة المفروضة عليها منذ سنوات، وأن تتعانق مُجدداً مع المجتمع الدولي، ولا تجد غضاضة– في ذات الوقت– من الحوار مع الإسرائيليين عبر وساطة تركية.. وأن تتوطد علاقتها أكثر وأكثر بروسيا والصين وهي دول صاحبة نفوذ وتأثير في القرار الدولي.. لذلك أو عزت هذه الأطراف لأمريكا بأن تُفسد على سوريا نجاحاتها..

ويبقى في النهاية أن تعترف بشجاعة أن أرض العراق– مع بقاء قوات الاحتلال الأمريكي فيها– ستصبح مصدر تهديد لباقي دول المنطقة دون أن ننسى أن أمريكا (حاليا) هي أشبه بالأسد الجريح الذي يريد أن يعتقد لنفسه بسبب عجزه وفشله..

الثعابين الإقليمية تلتف..!

الثابت أن هناك صفحة جديدة في العلاقات الثنائية تكتب سطورها حاليا بين سوريا ولبنان، فالرئيس السوري اتخذ قراراً بإقامة بعثة دبلوماسية سورية في لبنان، وسوف يتم تبادل السفراء بين البلدين وبذلك تنتهي- وإلى الأبد- أكبر عقبة كانت تقف في طريق (تطبيع) العلاقات بين دمشق وبيروت، ناهيك عن أنها ظلت تُسمم الأجواء لسنوات طويلة..

وفي ذات الوقت اختارت دمشق سفيرها المعتمد لدى بغداد لتبدأ صفحة جديدة أخرى بين البلدين بعد قطيعة استمرت فترات طويلة لأسباب عقائدية وحزبية ومذهبية وسياسية.. نحمد الله أنه لم يعد لها مجال اليوم..

ما معنى هذا الكلام؟.

معناه أن سوريا نجحت- فعلاً لا قولاً- في إعادة إدماج نفسها في محيطها العربي، وتجاوزت محاولات (العزل) التي كانت الشغل الشاغل لبعض الأطراف الإقليمية والدولية بهدف خنق سوريا والتضييق عليها..

وللإنصاف يجب نذكر أن الدبلوماسية السورية برعت في تفادي الصدامات ولم يبتلع الطعم الذي وضعته بعض الأطراف الخارجية لإفساد علاقة سوريا بمحيطها العربي..

بدءا بإحداث قطيعة بين دمشق وبيروت، واستعداد العاصمتين ضد بعضهما البعض مروراً بالسعي لإفشال القمة العربية التي انعقدت في مارس كما هو مقرر كل عام واتهام سوريا بأنها تفتح أبوابها لصداقة ممتدة مع دولة لا يثق فيها المجتمع الدولي (وأقصد بها إيران..)

المؤكد أن سوريا قد نجحت في هذا «الاختبار الصعب» وعادت بقوة إلي الصف العربي لتتبوأ مقعدها في مكان بارز بالمسيرة التضامنية العربية وإن لم يمنع

ذلك من سماع نقيق ضفادع يصدر من هنا وهناك بهدف تعكير «صفو» الأجواء..

وأعني بذلك اتهام سوريا- من قبل بعض الأطراف اللبنانية- بأنها تُعبئ جنودها على الحدود اللبنانية- السورية وتحديدا في نقاط بعينها على الحدود المتاخمة لعاصمة الشمال (طرابلس).. ورغم أن هذا الاتهام عار من الصحة ويحمل من دلالات الاستعداء وسوء النيّة الكثير، إلا أن سوريا لم تلفت إليه ليس فقط لأن مصادر هذا الاتهام ليست بريئة ولكن أيضاً لأن سوريا تتحرك داخل نطاقها الجغرافي.. (؟؟؟) إلا إذا كان تحركا من هذا النوع يتطلب أخذ أذون وتصاريح من الدول الأخرى!!

أريد أن أقول إن عودة العلاقات الطبيعية بين سوريا ولبنان هو أمر يحزن له البعض ممن يعيشون على الخلافات، ولا تزداد أرصدتهم في البنوك إلا بإذكاء نيران الفتنة.

والأمل معقود على عقلاء العرب الذين سيفوّتون الفرصة على أعداء الأمة العربية في داخلها وخارجها.

لمصلحة من.. «شنق» سوريا؟

للإنصاف يجب أن نعترف بأن قمة دمشق العربية السابقة قد كشفت عورات عربية جديدة كانت مستورة بـ «أوراق التوت المتهرئة» لسنوات طويلة، وظني أن الحديث عن تضامن عربي من أي نوع سيكون - لاحقًا - أشبه بأضغاث الأحلام.. ولست أشك في أن المفردات التي لاكتها وسائل الميديا في تعليقها علي القمة العربية العشرين، أو علي انخفاض مستوي التمثيل لبعض الدول سيكون هو الزيت الذي سيشعل نار الحقد والضغينة بين الدول العربية.. فالحديث مثلاً عن دول كبري وفاعلة ومؤثرة (ويقصد بها مصر والسعودية) أثار في نفوس الدول الأخرى غضبًا واستنفارًا وكأنها - ومن منطلق هذا التقسيم - لا تُحسب إلا كما يحسب يغاث الطير!..

والتهوين من أمر قمة دمشق وهشاشة توصياتها أو قراراتها، لأن رؤساء وملوك (هذه الدول الكبرى والفاعلة والمؤثرة) لم تحضر هو تكريس «لسمو» دول، و«دونية» دول أخري.

كما أن مستنقع التهكم، الذي غمس كثير من الكتاب أقلامهم فيه سوف يأتي- حتمًا- علي شعرة معاوية التي كانت باقية (بالكاد) بين الدول الأعضاء في الجامعة العربية.. فالمتوقع أن سماء العُرب ستكون ملبدة بالغيوم، فور انتهاء أعمال القمة، لأن الدول التي تسمي نفسها (الكبرى والفاعلة والمؤثرة) تشعر – يقينًا بالفشل أو علي أقل تقدير (بقلة الحلية)، لأن القمة انعقدت (وما كان لها أن تنعقد..) وصدرت عنها قرارات (وما كان لها أن تصدر..) وتحدث أمامها بشار الأسد (وما كان له أن يتحدث) وأصبح رغمًا عنها رئيسًا للقمة العربية طوال عام كامل (من مارس ٢٠٠٨ وحتى مارس ٢٠٠٩).

والحق أن «شيئًا» لم يتغير رغم محاولة البعض تقزيم القمة والتهوين من أمر انعقادها فالدول (الكبرى والفاعلة والمؤثرة) قد حضرت قمة بيروت – مثلاً – وأطلقت ما يسمي مبادرة السلام فما تغير شيء: الصلف الإسرائيلي سادر في غيه – وعمليات الاغتيال متواصلة، والاستيطان في اتساع، وقتل الأطفال وتجويع الشعب (بمباركة أمريكا) هي لعبة تمارس في العلن وليس في الخفاء.. هذا الواقع الصعب يؤكد أن غياب أو حضور الدول التي تري نفسها فاعلة لا معني له.. لأن استخفاف إسرائيل بالمبادرة العربية وعدم اكتراثها بما تضمنته من أفكار منذ انطلاقها في عام ٢٠٠٢ وحتى اليوم هو أكبر دليل علي أن أحدًا (كبيرًا أو صغيرًا) ليس له مكان في أوراق ودفاتر السياسة الإسرائيلية.

وإذا كان الحال كذلك، فلماذا الإصرار علي أبلسة سوريا واعتبارها شيطانا مريدًا.

في اعتقادي أن العقل السياسي العربي لم يدرك بعد أن السياسة لا تعرف لغة

المشاعر أو العواطف أو الأحاسيس.. ويبدو لي أن الدول الكبرى تعاطفت مع الأزمة اللبنانية (وعلاقة سوريا بها) من منظور عاطفي محض.. وليس هكذا تُورد الإبل في أمور كهذه! كما غاب عن الكثيرين أن العرب – كل العرب – لن يجنوا شيئًا إذا كسبنا لبنان وخسرنا سوريا.

ثم من قال إن دمشق هي وحدها القابضة علي زمام الأمور في داخل لبنان.. صحيح لها علاقات بحزب الله، وبفصائل المعارضة في بلاد الأرز، لكن سوريا – كما يعرف القاصي والداني – ليست اللاعب الوحيد في لبنان.

وهناك سؤال آخر يلح علي الخاطر:

وإذا لم يستجب حزب اللّه – وهذا هو المُرجح – لدعوات سوريا (في حال تدخلها).. ماذا سيكون عليه الحال بعد ذلك؟

إن لعبة إبعاد سوريا التي تمارسها بعض الدول الكبرى هي لعبة عاطفية وغير عملية تذكرنا بلعبة جبهة الصمود والتصدي التي مورست مع مصر في أعقاب اتفاق كامب ديفيد.. فالثابت أن القاهرة لم تخسر شيئًا فلقد استعادت أرضها (بشكل أو بآخر) والذي عاد – وهذا هو الواقع – ليس مصر للعرب وإنما العرب لمصر.

ثم هناك سؤال آخر قد يضع أيدينا علي جواب الحل وهو: من أين يعتاش رجال السياسة في لبنان وما الموارد التي ينفقون منها علي ميليشياتهم وأزلامهم.. طبعًا «إيران» تقوم بالتمويل – لكن الصحيح أيضًا أن واشنطن، وباريس وبعض العواصم الإقليمية تقوم بالمهمة. (.. ولكل فصائله ومريديه). معناه أننا أمام قيادات مأجورة تعمل لحساب عواصم خارجية وهو داء مستفحل لن يفيد معه دواء.

أريد أن أقول إن شنق سوريا ليس حلاً، وبنفس القدر أري أن الغياب المُتعمد

عن القمة العربية لا معني له في عالم السياسة.. ولغة المصالح فالغائب- دائما- ليس على حق!!

أين..«مصر».. من كل ما يحدث في «سوريا»؟

يحز في نفسي ويؤلمني أن مصر التي اعتاد أبناء جيلي ممن زادت أعمارهم علي خمسين عاما ألا توجد في القضايا الإقليمية والأحداث العربية، فقد تذمر أبناء ليبيا علي قائدهم وقهروه بل قتلوه دون أن تتحرك مصر أو يكون لها موقف.

كذلك حدث ما حدث في اليمن ولم نسمع تعليقا أو تصريحا من وزير خارجية مصر حينذاك.. ويحدث الآن في سوريا ويدور خلاف بينها وبين جامعة الدول العربية.. وتدلي المعارضة السورية بدلوها.. وتفضل مصر(حتى لا أقول تجُبر) أن تظل علي الحياد! هذا لعمري موقف مصري لم يعهده المصريون ولم نعرفه عن مصر في القديم والحديث.. فدائما لها صوت ورأي في كل ما يحدث وتعمل لها دول العالم ألف حساب، لكن أن تظل مشغولة بنفسها وتعالج في أسي وحزن ما تتعرض له من أزمات وحرائق وتشغل ذاتها بأمور داخلية مثل الدستور والانتخابات والإضرابات والاعتصامات.. علي أن يهوي من يهوي.. ويعلو من يعلو ـ فهو أمر مستحدث لم نسمع به من ذي قبل.. وأيا كان الأمر فمصر لا تعيش في العالم العربي والعالم بشكل عام بمفردها، وإنما هي تؤثر وتتأثر بما يموج حولها ويحدث في العالم قريبا وبعيدا.. وإلا فما معني أن يعترف متظاهرو اوول ستريتب في أمريكا بأنهم قد استلهموا في تحركاتهم الثورة المصرية.. وما معني أن تصف الصحف الغربية متظاهري روسيا بأنهم قد مسهم الربيع العربي، خصوصا ما حدث في مصر.. كذلك إسرائيل لم تكن في يوم من الأيام بعيدة.. فقد تأثرت بغضبة المصريين.

لقد آلمني كثيرا أن يتكلم المتظاهرون في مصر عن كل شيء في الداخل وينسون ما يحدث في سوريا التي كانت يوما ألصق بمصر وتسمي بالإقليم الشمالي

في إطار الجمهورية العربية المتحدة يوما.

إن ما يحدث في سوريا سوف يترك بصماته علي المنطقة برمتها.. فالأمر ليس قصاراه أن قوما لا يريدون حكم آل أسد.. وأن الربيع العربي كما ينمي لابد أن يمس سوريا بجنون!.. وأن دولا أخري سوف تشهد هذه الموجات إن آجلا أو عاجلا.. فسوريا تتوعدها القوي الكبرى منذ زمن، ولأن الولايات المتحدة الأمريكية قد برعت في الحرب بالوكالة منذ زمن، فلقد تركت جامعة الدول العربية تحارب لها في سوريا، بينما هي قد جددت العهد لسفيرها كي يعود إلي دمشق.. وبراءة الأطفال في عينيه!

سوريا ـ يا قوم.. تعيش أزمة تريد إطارا عربيا لها، لكن جامعة الدول العربية تسير في اتجاه آخر بعد أن أصبحت جامعة معارضة وليس جامعة شعوب أو نظم!

والدليل علي ذلك أن مطالبها هي مطالب المعارضة منذ مطلب تجميد عضوية سوريا، أو الحظر الجوي علي دمشق وبعض المدن، أو الحظر الاقتصادي.

صحيح أن وتيرة العنف لم تخف في بعض البؤر الساخنة، لكن الحكومة السورية تري أن المسؤول عنه بعض جماعات الإرهاب وليس المواطنين السلميين!

والحق أن وسائل الإعلام العربية والدولية قد انحازت إلي المعارضة السورية، برغم أنها تتحدث عن الخريف العربي لا تبالغ في نقل ما يحدث في سوريا، وتنسي عن عمد أن القيادة السورية ـ برغم كل ذلك ـ لا تزال موجودة.. وأن غالبية الشعب والجيش السوري يقف من ورائها ويدعمها.. ومثلما هناك مظاهرات رافضة.. هناك مظاهرات أكبر مساندة.

الغريب أن المعارضة السورية تتهم جامعة الدول العربية بأنها تعطي مهلة أخرى من خلال ما يسمي بلجنة المراقبين لكي تتمكن الحكومة السورية من قتل

المزيد من الشهداء!

وتري أن الجامعة تنحاز بذلك إلي الحكومة ولهذا تقوم المعارضة بمظاهرة أطلقت عليها مظاهرة الموتب.. في إشارة إلي أن دمشق قد استقبلت طلائع المراقبين بقتل مزيد من الشهداء المدنيين في سوريا!

أيا كان الأمر.. تصر مصر علي أن تكون بعيدة وأن توقف تماما وزارة الخارجية ولا تجعل لها من هم سوي الانشغال بما يحدث في الداخل!

مرة أخري.. إن ترك جامعة الدول العربية لتكون فريسة لأصغر دولة عربية هي قطر.. أمر مؤسف.. ثم إن ما يحدث لسوريا والمطالبة بتحويل ملفها إلي مجلس الأمن هو كارثة بالمعني الحقيقي للكلمة، لأن تحويل الملف بهذه الطريقة يجعل من الجامعة ـ جامعة معارضة باعتبار أن هذا المطلب هو– مطلب المعارضة– هو أمر مؤسف ويأتي علي دور الجامعة العربية، كما تأتي النار علي الخشب!

ناهيك عن أن الجامعة بتقزيم دورها في مجرد تحويل الملفب.. يتنافي مع ما كان يحلم به الآباء المؤسسون عن أن تكون الجامعة آلية للعمل العربي المشترك.. ناهيك عن أن أحدا لم يعد يثق فيها بعد ذلك.. والأهم أن أحدا لا يعرف ماذا يفعل مجلس الأمن، واستنادا إلي أي بند سيرتكز في قراراته والتجربة العراقية أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن الأمم المتحدة لا تضمر إلا الشر– كل الشر– للمنطقة العربية بأسرها.

فقديما تحدثوا عن إخراج العراق من الحظيرة العربية وأن العراق بلد كبير ولابد من تقسيمه بين شيعة وعرب وأكراد.. وهو ما حدث ولاحظه كل ذي عينين!.. ولا يخفي أنهم يعدون سيناريو مشابها في ليبيا التي يتحدثون عن تقسيمها إلي أقاليم برقة وفزان وطرابلس، ولن تكون سوريا بمعزل عن كل الذي حدث في ليبيا والعراق، بالإشارة إلي لواء الإسكندرونة الذي تحتله تركيا منذ الحرب العالمية وأريد هنا أن أتساءل.. هل تحدث أحد في داخل سوريا أو خارجها عن

الجولان السورية؟.. والإجابة: لا ـ سوي إسرائيل التي أكدت شيئين: الأول أنها لن تترك الجولان مهما يكن الثمن.. والثاني أن الأسد لابد أن يترك الحكم بعد سنة على أقصى تقدير.

أقول ذلك وهناك من يعلن من الحكام العرب تنحية بشار الأسد ويدعوه إلي أن يكون ذلك في أقرب فرصة!.. وهو السيناريو الذي كان يقوم به في حال العراق رأس النظام السياسي السابق في مصر!!

سوريا في خطر.. هذا صحيح.. لكن لا تنسي الدول العربية جميعها أنها ليست في مأمن من هذا الخطر.. فتونس كانت قديما ثم مصر واليمن وليبيا، لكن لا ينسي أحد أن مسمار الربيع العربي في النار للبحرين والسعودية.. والبقية تأتي.

إن مصر ـ يا قوم ـ لابد أن تكون في المقدمة وعليها ـ كما اعتدنا ـ أن تعلو علي مصابها وأحداثها الداخلية وأن تسجل موقفها الرافض للاستعمار قديما.. وحديثا، لأن سقوط سوريا فريسة للقوي الكبرى سوف يطرب علي المدى القريب المعارضة السورية، لكنه سوف يكون مآلا سيئا علي المدى البعيد.

صحيح سوريا في خطر.. لكن الأمة العربية في خطر داهم.. فاليوم دمشق وغدا سوف تكون طهران ثم بعد غد سيكون حزب الله ولبنان.

فهل يستوعب ثوار العرب النداء؟

بين الدقهلية وحماة السورية.. تشابهات «اخوانية»!

صاحب هذه الفكرة أكاديمي سوري يعمل أستاذا للدراسات الإسلامية في جامعة السوربون (بباريس).. أمضى في القاهرة بعض الوقت وزار أماكن كثيرة، ورصد تحركات جماعة الإخوان، والتقى بشخصيات، وناقش شبابا من كل لون وصنف، وانتهي إلي أن الإخوان المسلمين من أكثر الناس شراً، ومقولاتهم الكاذبة لا تختلف باختلاف المكان، ففي الدقهلية- في مصر المحروسة- حيث

يوجد نفر من قيادات هذه الجماعة- سمع كلاماً متشابها مع ما سمعه في مدينة حماة السورية منذ سنوات وهو ما جعلني- يقول الرجل- أضع يدي على قلبي خوفاً من تكرار سيناريو حماة في شرق الدلتا في مصر.. فهنا وهناك سمع أنصارهم ومريدوهم يقولون! أنهم يجعلون من الإسلام الحنيف شعاراً لهم، ويسعون سعيهم كله ليقبضوا على السلطة في كل بلد مُسلم من أجل أن ينشروا تعاليمه ويطبقوا مبادئه. وهم لا ينكرون أنهم حزب ديني سياسي، يقومون بالمواجهة على جهتين: جبهة جمهور المسلمين وجبهة السلطة. ويطالبون إما باقتسام السلطة وإما باستلامها عن طريق التراضي والتصالح أو عن طريق القوة والاغتصاب. ويسمون ذلك حقاً من حقوقهم وطريقا مشروعة لهم مسموحاً بها وقصة تنظيم «داعش» في العراق والشام ليس بعيدا.

ويؤكد الأكاديمي السوري أن خلط الأوراق هو ديدن الإخوان في كل زمان ومكان، فهم ينسبون الظواهر الدينية إليهم، ويضمون أحاسيس الشعب وميوله الإسلامية إلي حركتهم.. سعياً إلي تجييشهم في صفوفهم والنضال من أجل وصولهم إلي مقاعد الحكم.. ولذلك فإن الرؤية التحليلية لمواقفهم وتحركاتهم تؤكد أنهم إذا ما انغمسوا في تيار النضال السياسي تغافلوا عن الأغراض الدينية والاجتماعية التي كانوا أعلنوا عنها في سالف الأيام.

وسجل الرجل شهادته قائلاً: أخشى أن تنطلق جياد الإخوان المسلمين في الميدان وعليها رُماة مهرة يجيدون رمي الفتن واللعب بالنار.. لتكرر المشاهد المأساوية والدموية التي عرفتها مدينة حماة السورية فتتحول معها الحياة في شرق الدلتا المعدية- حاشا لله- إلي اضطراب ورعب وعدم استقرار..

وكلنا يعرف أن الإخوان المسلمين قد حوّلوا مدينة حماة إلي ترسانة عسكرية وكانوا يعتزمون إسقاط النظام السوري بنشر الفتن وإثارة النعرات، ومهاجمة رجال الأمن في ثكناتهم مما اضطر النظام إلي التدخل لإخماد الحريق فحدثت مآسٍ

وويلات وسال دم كثير..

ومع تسليم الرجل بأن التاريخ أو الحوادث لا تتكرر بحذافيرها في البلدان المختلفة، إلا أن انتشار قيادات الإخوان في الدقهلية (خيرت الشاطر نائب رئيس الجماعة من هناك وظهور الجماعة في الشارع وداخل البرلمان (مجلس الشعب وإعلائهم عن أنفسهم في مناسبات عديدة) كل ذلك جعله يعقد مقارنة بين الحالين وبين المدينتين (حماة السورية والمنصورة عاصمة الدقهلية في مصر..)

لكن هناك أسبابا جعلت هذا الضيف السوري يرى الصورتين متشابهتين، ففي سوريا مثلاً كان يُقال إن الفساد الذي غزا كل شيء في حياة الناس، والسلطة التي تراخت في مسألة الحساب والعقاب هما سببا الأحداث والفتن التي وقعت ومنها واقعة دك البيوت فوق رؤوس أصحابها في حماة..

وقيل أيضا إن السلطة وحدها هي التي جعلت للإخوان شأنا وجعلت لهم قيمة عندما لم تُفرّق بين ما لدى الإخوان من مشاعر دينية مصنوعة أو مجلوبة لا تحمل إلا المعنى السياسي، وبين ما عند المواطنين الآخرين من المشاعر ذاتها، لكنها طبيعية اجتماعية وليس فيها أثراً للمعنى السياسي..

ويقول الأكاديمي السوري إنه خلص من رصده لتحركات الإخوان في مصر، وعليك لمشاهداته ورؤاه إلي أن شيئاً من ذلك حدث في مصر، فالسلطة المعدية ارتكبت نفس الأخطاء التي وقع فيها السوريون.. يضاف إلي ذلك أن الإخوان المسلمين المصريين قد ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا آله مُسخرّة في أيدي الدول الأخرى وخصوصاً الولايات المتحدة التي لا يخفي على لبيب الاتصالات الخفية التي تجري منذ سنوات مع رموز إخوانيه في أرض الكنانة..

ناهيك عن الدعم والتحريض والحماية التي لا تجف ينابيعها تحت ستار مزاعم حقوق الإنسان أو الدمقرطه وكلها أحاديث إفك تستهدف أمن واستقرار مصر، وأمن واستقرار المنطقة العربية (بالتبعية..) والحق إن هذه الرؤية التي يدق

بها أحد أساتذة الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون ناقوس الخطر من استفحال الإخوان المسلمين الذين يراهم سبب كل بلاء وفتنة تمنعه من توجه النقد اللاذع للنظم السياسية العربية التي ساهمت (عن قصد أو عن غير قصد) في تضخيم صورة الإخوان ولذلك يرى أن خير علاج هو أن تسعى هذه النظم إلي تحسين علاقتها بالشعوب وتُزيد في تلطيف الارتباط والاتصال بها، لتعيد إليها شيئاً من الثقة المفقودة..

انتهي كلام الرجل الذي خبر شؤون الإخوان قديما وحديثا، وأصبح التفكير فيه فرض عين على الحاكم والمحكوم معاً.

لمصلحة من أبلسة حزب الله!

قبل أقل من عشرين عاماً كان الحديث يدور على استحياء عن ضرورة أن تساعد إسرائيل في قيام دولة فلسطينية وكان عرّاب هذه الفكرة- في حينها- السيد مصطفي خليل رئيس وزراء مصر الأسبق، وأذكر أن شيخ المستشرقين الفرنسيين (المعروف) جاك بيرك علّف على ذلك في صحيفة لوموند الفرنسية قائلاً: إن الدولة الفلسطينية المزعومة ستكون مهمتها حراسة أمن إسرائيل أي أن دورها هو أشبه بدور الحارس الذي يُطلب منه القبض على فلان، أو محاكمة علان..!

وأشهد أن هذا الرأي قد صدمني- في ذلك الوقت- لكن ها هو الواقع المُعاش بأن يؤكد صدق ما قاله جاك بيرك فالسيد محمود عباس (أبو مازن) الرئيس الفلسطيني كما يطلق على نفسه ورفاقه لا مهمة لهم سوى ضبط إيقاع الحياة في الأراضي الفلسطينية بهدف حفظ الأمن الإسرائيلي..

لقد قفزت إلي ذهني هذه الواقعة (وذلك المدلول) عندما نقلت الأنباء أن السيد جورج دبليو بوش (الرئيس الأمريكي) السابق يشرع في تقديم مساعدات عينية (تشمل أسلحة وعتادا ومركبات عسكرية) للجيش اللبناني..!!

وبطبيعة الحال، فإن هذه المساعدات ليست من أجل سواد عيون لبنان

واللبنانيين وإنما هدفها هو تسليح الجيش اللبناني لكي يكون قادراً على ما فشلت فيه إسرائيل وهو نزع سلاح المقاومة وحزب الله.. أي أن سيناريو السلطة الفلسطينية يتكرر مجدداً مع الجيش اللبناني باعتبار أن الهدف في الحالتين هو الحفاظ على أمن واستقرار إسرائيل.

وعلينا أن نتذكر أن واشنطن تخطط لهذا الأمر منذ اللحظة التي انهزمت فيها إسرائيل أمام (منعة) (وقوة) المقاومة اللبنانية في حرب يوليو/ تموز ٢٠٠٦ إذ أدركت أن الجيش الذي لا يُقهر! لا حيلة له في مواجهة حزب الله، وبالتالي كان يتعين تغيير الاستراتيجية ليقوم اللبنانيون أنفسهم بالمهمة التي عجز عن القيام بها الجيش الإسرائيلي..

لذلك كان طبيعيا- ووقف هذا المخطط- أن يشعل وليد جنبلاط الأزمة متحدثا بلسان إسرائيل وليس بلسان لبنان- عندما طالب في مؤتمره الصحفي الشهير بإزالة أجهزة الاتصالات الخاصة بحزب الله، وإقالة مدير أمن مطار بيروت.. وهي المطالب التي سكبت الزيت على النار وفاقمت الأحداث وكادت تجعل لبنان تقف على أعتاب حرب أهلية جديدة..

وحرصاً على ذاكرتنا جميعاً، نلفت الانتباه إلى أن الأوضاع الداخلية (السياسية) في لبنان لم تكن هادئة كما يعتقد البعض ويظن.. فاعتصام المعارضة في وسط بيروت وتحديدا في ساحة رياض الصلح قد مرّ عليه أكثر من خمسمائة يوم وهو مرشح للبقاء والاستمرار.. ناهيك عن الشروط (والشروط المضادة) التي تحكم الأزمة بين الفرقاء اللبنانيين وتدور في حجمها حول المحاور الثلاثة للمبادرة العربية وهي: اختيار العماد ميشيل سليمان (قائد الجيش) رئيساً توافقياً، وتشكيل حكومة وحدة وطنية، ووضع قانون انتخابي جديد.. والخلاف- كما يعلم الجميع- يأتي من أولويات هذه المحاور، وهل سيتم الأخذ بها فرادي أم مجتمعين..

على أية حال، لقد بات واضحاً للأعشى والأعمى والبصير على السواء أن المخطط الأفريقي/ الصهيوني بتأليب سُنة لبنان ضد شيعته وتصوير الخلاف على أنه خلاف طائفي وليس سياسي، ثم أبلسة حزب الله، (أي جعله إبليسا لعينا!) واستعداء الجميع ضده..

قد حقق قدراً من نجاح، فلقد ابتلع الكثيرون الطعم وباتوا يقدحون- ليل نهار- في حزب الله، فحققوا بذلك أمنية إسرائيل الغالية، وبعد أن كان حزب الله هو الفارس المغوار، هازم الأعداء، وحافظ الأمن والسلم الأهلي في لبنان أضحى- بين عشية وضحاها- مخادعاً، وكاذبا، وملعونا..

وسؤالي البريء هو التالي:

أليست هذه الصفات (والاتهامات) هي ما كانت إسرائيل تصرخ به ليلاً ونهاراً.. وأليست هي التي كانت تزعم أن الصراع في لبنان صراع طائفي وليس سياسياً..

أريد أن أقول لقد رفعنا الحرج عن إسرائيل وقمنا نحن بالدور الأسوأ الذي كانت تريد القيام به.. ونسينا أن الهدف ليس حزب الله، وإنما المقاومة العربية في كل مكان.. فهذا هو (ديدن) السياسة الأمريكية.. التي ألبست- في آن واحد- ثوب الشيطان لحركة المقاومة الفلسطينية.. وصورتها أمام العالم على أنها شراذم من الإرهابيين..

وغاب عن بالها- عمداً- أنها أول دولة إرهابية في العالم- بمعايير الإرهاب الدولية- وأن إسرائيل تمارس عيانا جهاراً سياسة إرهاب الدولة، وتقوم بالزيادة الجماعية لأطفال الحجارة وذويهم بعد تعذيبهم وتجويعهم وسفك دمائهم الذكية مجانا!!

وكلنا يعلم أن تدويل الأزمة اللبنانية على النحو الذي سارت عليه بتدخلات فرنسية وأمريكية وإسرائيلية لن يؤدي إلي حل وإنما إلي مزيد من التعقيد.. ولعل

أهل لبنان هم كأهل مكة- أدرى بشعاب أزمتهم وبلدهم.. والقاعدة الذهبية- في هذا الشأن- أنه لا شيء يمكن أن يتم في طريق المصالحة والسلم الأهلي بغير قاعدة التوافق.. فكل أزمات لبنان منذ استقلاله مروراً بالحرب الأهلية في عام ١٩٧٥ وحتى اليوم لا تحسب بقاعدة الغالب والمغلوب أو المنتصر والمهزوم..

والغريب أن موالاة لبنان كانوا يعرفون هذا الشيء ويحفظونه عن ظهر قلبي، لكنهم بتأثيرات أمريكية وفرنسية وإسرائيلية حاولوا القفز على هذه القاعدة فكان أن اصطدموا بالتاريخ القريب والبعيد..

ولذلك ليست مفاجأة لي أن تتراجع حكومة السنيورة عن قرارات وليد جنبلاط، ولم يكن مفاجأة لي أيضاً أن يلوح حزب الله بسلامه وجنوده في بعض شوارع بيروت والجبل..

لأن لبنان هو من أكثر الدول العربية التي تعرف في حياتها السياسية والاجتماعية خطوطا حمراء.. ولذلك كان ميشيل عون أحد أقطاب المعارضة على حق في تعليقه على الأحداث بقوله:

الآن لقد اعتدل الميزان، وعادت الأمور إلي سابق عهدها، ولعله يقصد أن الموالاة قد ارتدعوا، وعادوا رغما عنهم إلي قاعدة التوافق التي لا مكان فيها لغالب أو مغلوب وإنما الجميع سواسية..

وعلى أية حال، أظن أن أصوات لبنان الأخيرة كان لها بعض الإيجابيات أولها: أن الجيش اللبناني برز جسداً وكيانا يوثق به، وكان المعتاد مثل هذه الأمور أن يكون مختفياً أو جسداً لا حراك فيه.. والثانية: أن العماد ميشيل سليمان (قائد الجيش) أكد من خلال (حياده) وموقفه المتوازن بين الأطراف المتصارعة أنه الرجل المناسب الذي يمكن أن يقود البلاد (رتباً) في هذه المرحلة..

وأتصور أن موقفه هذا، جعله يقترب أكثر من مقعد الكرسي الرئاسي في قصر

بعيدا.. والثالثة أن قاعدة التوافق عادت لتتكدس من جديد، ولتكون طوق النجاة الوحيدة.. صحيح إن بعض الشخصيات السياسية مثل مروان حمادة، وسمير جعجع هرعت تهرول باتجاه فرنسا وأمريكا تطلب التدخل.. لكن هذا التصرف لا يفت في (؟؟؟) قاعدة التوافق التي بغيرها سيظل لبنان جرحا دامياً..

يبقى أخيرا أن نذكر أن الفتنة التي تعيشها لبنان اليوم لا تستهدف فقط حزب الله والمقاومة اللبنانية وإنما ترمي- على المدى البعيد- إلي إشعال نيران الحرب بين الفرس والعرب، وما تصريحات وزير خارجية السعودية المعادية لإيران سوى القتيل الأول في هذا الحريق الكبير الذي خطط له الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش في زيارته للمنطقة لتأتي زيارته الثانية لتؤكد عليها وتعطي إشارة البدء لدخول المنطقة أتون حرب جديدة تحارب فيها المنطقة العربية إيران (نيابة) عن أمريكا كما تحارب فيها الموالاة في لبنان المعارضة (نيابة) عن إسرائيل..